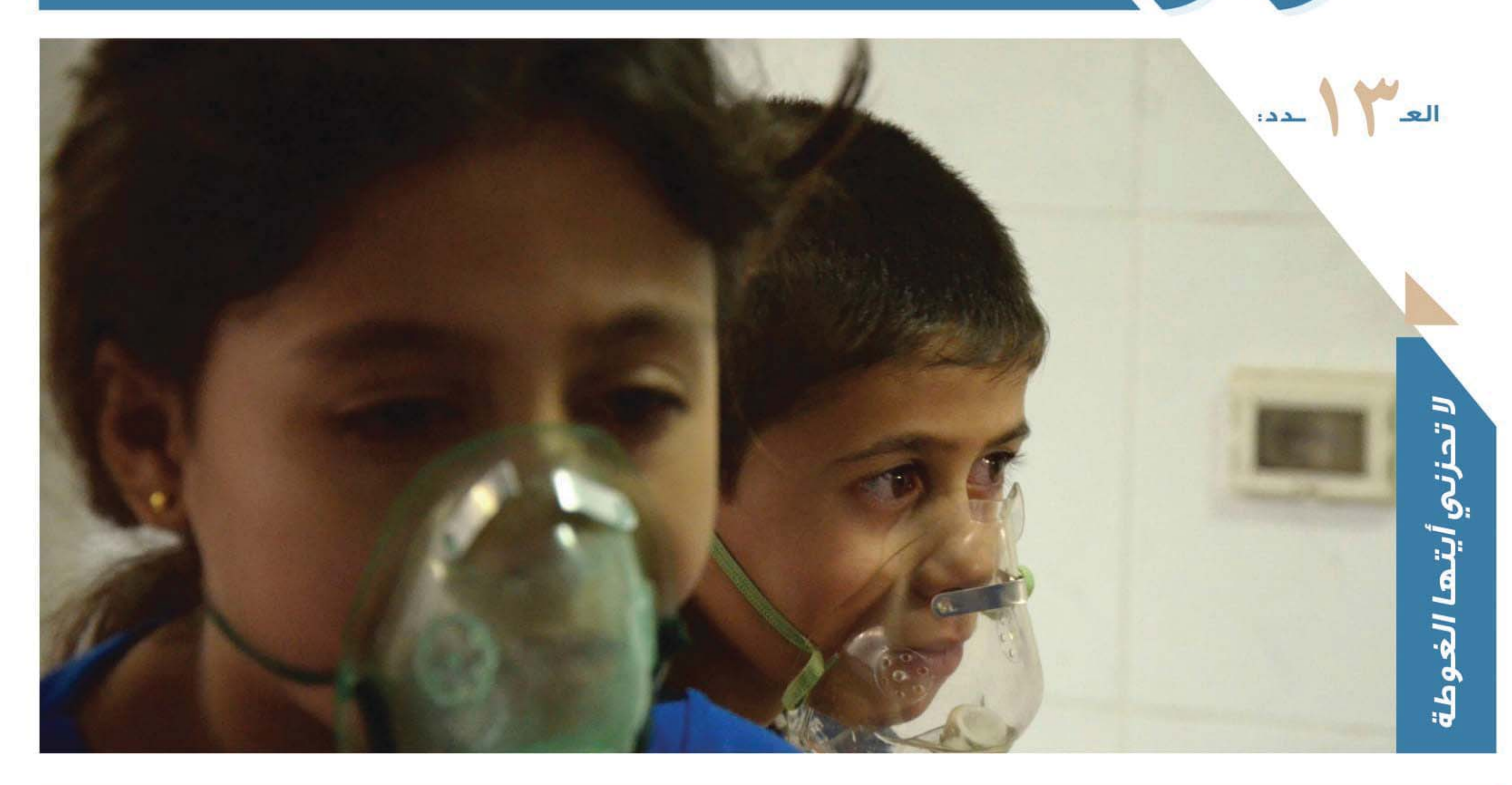
نور الشام

دورية صادرة عن هيئة الشام الإسلامية

ذو القعدة ١٤٣٤هـ الموافق سبتمبر/أيلول 2013 م

/islamicsham.org

العدد: ١٣



لا تحزني أيتها الغوطة

في هذا العدد:

نور الشام ترحب بمشاركاتكم وتزداد ثراءً بأقلامكم .... للتواصل مع إدارة التحرير وإرسال مشاركاتكم contact@islamicsham.org

افتتاحية العدد:

خطوط حمراء وضعها (المجتمع الدولي) للنظام المجرم على أرض الشام المباركة، فيما يتعلق باستخدام الأسلحة الكيميائية، وما يلبث أن يدخل في جدالات ونقاشات حول التأكد من هوية المستخدم لها، وطرق التأكد، والاتهامات والاتهامات المضادة.. إلى أن تضيع القضية.

لكن الاستخدام الأخير في الغوطة فاق القدرة على التغطية والتلاعب، وترقب الجميع الضربة المنتظرة ما بين متحفظ ومحذر، ومرحب لا يجرؤ على التصريح!

ثم ظهر الاتفاق على أن يسلم المجرم أسلحته الأشد فتكًا، ويحتفظ بالأسلحة الأخرى التي يستعملها ليل نهار، عبر دوامة من الاتفاقات والتفتيشات والمراقبات تستمر لعدة شهور، ما يذكر بالمسلسل الهزيل أيام حرب العدوان على العراق!

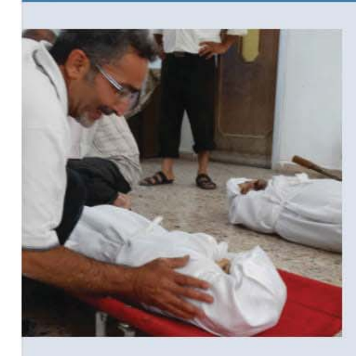
إن هذه الأحداث وغيرها لا تزيدنا إلا يقينًا بما أخبرنا به ربنا تبارك وتعالى في كتابه: ﴿**وَالَّذينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**﴾ (الأنفال: ٧٣)، وقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾ (آل عمران: ١١٨).

وما أخبرنا به ﷺ في قوله: «يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا».

ولعل من بشائر الخير بأرض الشام المباركة، أن فطن الناس إلى هذا المكر الكبَّار الذي يراد بثورتهم الحرة، فأعلنوا تخليهم عن المجتمع الدولي ونصرته، والتعلق بحبل الله تعالى وحده، موقنين أنه ﴿**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ (التوبة: ٥١)، وأن عاقبة هذه المحنة منحة، : ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ (النور: ٥٥).

وأنه على الرغم من هذه المؤامرات فإنه: ﴿**إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ (آل عمران: ١٦٠) ■

فتـــــوى



حكم قتل نساء وأطفال الأعداء
من باب المعاملة بالمثل

المكتب العلمي بهيئة الشام الإسلامية

السؤال:

ما حكم قتل نساء وأطفال أعوان النظام، وخاصة من الطائفة النصيرية أثناء اقتحام قراهم؟ وهل يجوز معاملتهم بالمثل استدلالاً بقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾؟ وما رأيكم بمن يستدل بكونهم مرتدين على جواز قتلهم دون استتابة؟

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلا ريب أن مقاومة هذا النظام المجرم والانتقام لهؤلاء الضحايا الأبرياء الذين يفتك بهم من أوجب الواجبات بكل وسيلة شرعية متاحة، إلا أن الواجب على المسلم التقيد بالضوابط الشرعية في ذلك، ومنها ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة من تحريم قصد نساء العدو وأطفاله بالقتل، إلا في حالات مخصوصة قام الدليل على استثنائها، وفيما يلي تفصيل المسألة:

أولاً: الأصل في النساء والأطفال أنهم ليسوا من أهل الحرب والقتال، فلا يجوز قتلهم، ولا الاعتداء عليهم، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾ (البقرة: ١٩٠).

قال ابن جرير الطبري -رحمه الله- في (تفسيره): «وَإِنَّمَا الِاعْتِدَاءُ الَّذِي نَهَاهُمُ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ نَهْيُهُ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ، وَالذَّرَارِيِّ». والذراري: هم الأبناء.

وعن ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: (وُجِدَتْ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ) أخرجه البخاري ومسلم.

وفي حديث رباح بن الربيع عند الإمام أحمد أن النبي ﷺ لما رأى امرأة مقتولة أنكر ذلك وقال: (مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ).

قال ابن عبد البر -رحمه الله- في (التمهيد): «وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى الْقَوْلِ بِجُمْلَةِ هَذَا الْحَدِيثِ، وَلَا يَجُوزُ عِنْدَهُمْ قَتْلُ نِسَاءِ الْحَرْبِيِّينَ وَلَا أَطْفَالِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِمَّنْ يُقَاتِلُ فِي الْأَغْلَبِ».

وقال النووي -رحمه الله- في (شرحه على صحيح مسلم): «أجمع العلماء على تحريم قتل النساء والصبيان إذا لم يقاتلوا».

ثانيًا: دلت أقوال أهل العلم على استثناء ثلاث حالات فقط من منع القتل، كما يلي:

الحالة الأولى: الاشتراك في القتال حقيقةً أو حُكماً، سواء بحمل السلاح، أو التحريض على القتال، أو التجسس لصالح المقاتلين، أو الإيقاع بالنساء المسلمات بما يؤدي لانتهاك أعراضهن أو قتلهن أو اعتقالهن.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في الفتح عن قوله ﷺ: «مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ» «فإنّ مفهومه أنّها لو قاتلت لقُتلت».

قال ابن قدامة -رحمه الله- في (المغني): « وَمَنْ قَاتَلَ مِنْ هَؤُلَاءِ أَوْ النِّسَاءِ أَوْ الْمَشَايِخِ أَوْ الرُّهْبَانِ فِي الْمَعْرَكَةِ قُتِلَ، لَا نَعْلَمُ فِيهِ خِلَافًا».

وقال الكاساني -رحمه الله- في (بدائع الصنائع): « وكذا لو حرّض على القتال أو دلّ على عورات المسلمين، أو كان الكفرة ينتفعون برأيه، أو كان مطاعًا، وإن كان امرأة أو صغيرًا؛ لوجود القتال من حيث المعنى».

الحالة الثانية: في حال التّبييت والغارات الحربية إذا احتيج إليه؛ لعدم القدرة على التمييز بينهم وبين غيرهم من المقاتلين.

عَنِ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ، قَالَ: (سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الذَّرَارِيِّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ؟ يُبَيَّتُونَ فَيُصِيبُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ؟، فَقَالَ: هُمْ مِنْهُمْ) أخرجه البخاري ومسلم.

قال الحافظ -رحمه الله- في (الفتح): «ومعنى البيات المراد في الحديث: أن يُغار على الكفار بالليل، بحيث لا يُميّز بين أفرادهم».

قال الخطابي -رحمه الله- في (معالم السنن): « يريد أنهم منهم في حكم الدين وإباحة الدم، وفيه بيان أن قتلهم في البيات وفي الحرب إذا لم يتميزوا من آبائهم وإذا لم يتوصلوا إلى الكبار إلاّ بالإتيان عليهم جائز».

ويدخل في هذا : رميهم بما يعم كالصواريخ والقاذفات والقنابل وغيرها، في حالة الحصار، أو ضرب المقرات والثكنات، أو الرد على قصف القرى والبلدات بالمثل؛ لأنّه لا يمكن التمييز بين المقاتلين وغيرهم في هذه الحالات.

قال ابن رشد -رحمه الله- في (بداية المجتهد): «وَاتَّفَقَ عَوَامُّ الْفُقَهَاءِ عَلَى جَوَازِ رَمْيِ الْحُصُونِ بِالْمَجَانِيقِ، سَوَاءٌ كَانَ فِيهَا نِسَاءٌ وَذُرِّيَّةٌ، أَوْ لَمْ يَكُنْ؛ لِمَا جَاءَ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَصَبَ الْمَنْجَنِيقَ عَلَى أَهْلِ الطَّائِفِ».

الحالة الثالثة: إذا تَتَرّس بهم العدو واتخذهم دروعاً بشرية بحيث لا يَقْدرُ المسلمون على مهاجمته في ثكناته أو حصونه أو آلياته أو أثناء انسحابه إلا بقتل هؤلاء المُتَتَرس بهم، فيجوز للمجاهدين ضرب هؤلاء المجرمين وإن أدى ذلك إلى قتل النساء والأطفال، بغير خلاف بين الفقهاء، مع

تحاشي قصد ضرب النساء والأطفال ما أمكن.

قال ابن قدامة -رحمه الله- في (المغني): «إنْ تَتَرَّسُوا فِي الْحَرْبِ بِنِسَائِهِمْ وَصِبْيَانِهِمْ، جَازَ رَمْيُهُمْ، وَيَقْصِدُ الْمُقَاتِلَةَ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَمَاهُمْ بِالْمَنْجَنِيقِ وَمَعَهُمْ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ، وَلِأَنَّ كَفَّ الْمُسْلِمِينَ عَنْهُمْ يُفْضِي إلَى تَعْطِيلِ الْجِهَادِ، لِأَنَّهُمْ مَتَى عَلِمُوا ذَلِكَ تَتَرَّسُوا بِهِمْ عِنْدَ خَوْفِهِمْ فَيَنْقَطِعُ الْجِهَادُ».

ثالثًا: لم نجد في كلام أهل العلم المتقدمين ما يدل على جواز قتل النساء والصبيان من باب المعاملة بالمثل، مع وجود الداعي له من كثرة الحروب والإجرام في حق المسلمين.

وأما الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ (النحل: ١٢٦)، وقوله: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة:١٩٤)، على جواز قتلهم معاملةً بالمثل، فهو استدلال في غير محله، وذلك لأمور:

١- أن المماثلة في العقوبة: مشروطة بكونها لا تشتمل على معصية.

قال النووي -رحمه الله- في (المجموع): «وقوله: «وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» فيه دليل على عدم جواز مكافأة الخائن بمثل فعله، فيكون مخصصاً للعموم في قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾».

وقال ابن قدامة -رحمه الله- في (المغني): «وَإِنْ قَتَلَهُ بِمَا لَا يَحِلُّ لِعَيْنِهِ، مِثْلَ إنْ لَاطَ بِهِ فَقَتَلَهُ، أَوْ جَرَّعَهُ خَمْرًا أَوْ سَحَرَهُ، لَمْ يُقْتَلْ بِمِثْلِهِ اتِّفَاقًا، وَيَعْدِلُ إلَى الْقَتْلِ بِالسَّيْفِ..»، ولا شك أن قتل النساء والأطفال معصية، لثبوت النهي عنه بإجماع العلماء.

٢- أنّ المماثلة في العقوبة تكون مع الجاني نفسه لا غيره، ولذلك استدل العلماء بهذه الآية على الاقتصاص من الجاني بمثل جنايته، ولا يراد منها الاعتداء على غير الجاني، فمن قتل مسلماً تغريقًا أو خنقاً أو بحجر قُتل بمثل فعله.

٣- أنَّ هذه الآيات هي نصوص عامة مخصصّةٌ بما سبق من أدلة عدم قتل النساء والأطفال.

ورغم الغزوات التي خاضها المسلمون على مدى أربعة عشر قرنًا لم يُعرف لهم مخالف في ذلك، رغم ما تعرضوا من اعتداءات وانتهاكات ومجازر.

٤- أنّ قواعد ونصوص الشريعة دلت على أن المرء لا يجوز أن يُؤخذ بجريرة غيره، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، وقال ﷺ في حجّة الوداع: «أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ، أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ عَلَى وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ عَلَى وَالِدِهِ» رواه الترمذي.

ونساء وأطفال الأعداء لا يجوز أن يؤاخذوا بجريرة وأوزار آبائهم.

رابعًا: وأما الاستدلال بكون النصيرية «أهل ردة» أو «مرتدين» على جواز قتل النساء والأطفال، فيجاب عنه من وجوه:

١- أنّ الصبي المرتد لا يجوز قتله عند عامة العلماء؛ لأنه ليس من أهل العقوبة.

قال أبو حامد الغزالي -رحمه الله- في (فضائح الباطنية) عن النصيرية: «فإن قيل هَل يقتل صبيانهم وَنسَاؤُهُم؟ قُلْنَا: أما الصّبيان فَلَا، فَإِنَّهُ لَا يُؤَاخذ الصَّبِي ...».

وقال ابن قدامة -رحمه الله- في (المغني): «الصبي لا يُقتل، سواء قلنا بصحة ردته أو لم نقل؛ لأنّ الغلام لا يجب عليه عقوبة، بدليل أنه لا يتعلق به حكم الزنا والسرقة في سائر الحدود، ولا يُقتل قصاصًا، فإذا بلغ فثبت على ردته ثبت حكم الردة حينئذ».

٢- أما قتل المرأة المرتدة:

أ- فهو من المسائل الخلافية بين العلماء، فمنهم من أجاز قتلها وهم الجمهور، ومنهم من منع من ذلك، وهي من مسائل الاجتهاد التي يقرر فيها إمام المسلمين ما يراه مناسباً وفق المصلحة الشرعية.

قال أبو حامد الغزالي -رحمه الله- في (فضائح الباطنية) عن النصيرية: «فَإِن الْمُرْتَدَّة مقتولة عندنَا بِعُمُوم قَوْله ﷺ: «من بدّل دينه فَاقْتُلُوهُ»، نعم للْإِمَام أَن يتبع فِيهِ مُوجب اجْتِهَاده، فَإِن رأى أَن يسْلك فيهم مَسْلَك أبي حنيفَة ويكف عَن قتل النِّسَاء، فَالْمَسْأَلَة فِي مَحل الِاجْتِهَاد».

ب- ومن قال بجواز قتلها قال بوجوب استتابتها، وهم جمهور أهل العلم، قال الماوردي -رحمه الله- في (الحاوي الكبير): «إِذَا ظُفِرَ بِأَهْلِ الرِّدَّةِ لَمْ يَجُزْ تَعْجِيلُ قَتْلِهِمْ قَبْلَ اسْتِتَابَتِهِمْ، فإن تابوا حقنوا دمائهم بِالتَّوْبَةِ، وَوَجَبَ تَخْلِيَةُ سَبِيلِهِمْ».

وقال ابن تيمية -رحمه الله- في (الصارم المسلول): «والكافرة الحربية من النساء لا تُقتل إن لم تقاتل، والمرتدة لا تقتل حتى تستتاب».

ج- أنَّ إقامة حكم الرِّدة من اختصاص الحاكم الشرعي، وليس لآحاد الناس تنفيذه حسب آرائهم وأهوائهم، وإلا انفتح باب من الشر يتعذر إغلاقه.

قال ابن الهمام -رحمه الله- في (فتح القدير): «وقتل المرتد مطلقًا إلى الإمام عند عامة أهل العلم».

وقال ابن مفلح في (المبدع): «وَلَا يَقْتُلُهُ إِلَّا الْإِمَامُ أَوْ نَائِبُهُ، فِي قَوْلِ عَامَّةِ الْعُلَمَاءِ».

وقال ابن قدامة المقدسي -رحمه الله- في (الكافي): «ولا يقتله إلا الإمام؛ لأنه قتلٌ يجب لحق الله تعالى، فكان إلى الإمام».

وعلى هذا جاءت أقوال أهل العلم في النصيرية؛ فإنّه لم يُنقل عن أحد منهم أنه أفتى الجنود والعساكر الإسلامية بقتل نساء النصيرية دون إذن الحاكم.

والكتائب في سوريا ليست حاكمًا ولا تأخذ أحكامه في هذه المسائل.

وما سبق هو بناء على القول بردتهم، وإلا فمن أهل العلم من يرى أنهم في حكم الكفار الأصليين، وليس هذا مجال تفصيل ذلك.

نسأل الله -تعالى- أن ينصر المجاهدين في سبيله، وأن يوفقهم للعمل بدينه، والالتزام بشرعه، وأن يقمع عدوهم، ويورثهم ديارهم وأموالهم.

والحمد لله رب العالمين ■

> «إذا أراد الله بعبد خيرًا فتح له باب العمل، وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شراً فتح له باب الجدل، وأغلق عنه باب العمل» معروف الكرخي

آراء وتحليــــلات

تحليل الضربة العسكرية المرتقبة على سوريا

محمد قطب

كل الأنظار تتجه اليوم إلى الضربة العسكرية المرتقبة على سوريا، التي تقودها الولايات المتحدة وفرنسا، بعد الانسحاب البريطاني منها. ولا شك أن سير الحملة تباطأ كثيراً بعد رفض مجلس العموم البريطاني لها، وقرار الرئيس باراك أوباما انتظار التصويت عليها في الكونجرس قبل التنفيذ، والذي قد يرفض الضربة ويضع أوباما في موقف حرج للغاية. ومع قرار أوباما المفاجئ هذا، صرحت بعض المصادر المطلعة أن السبب الرئيس لهذا التحول يعود إلى قناعته الشخصية بأن بوتين قادر على إجبار بشار الأسد على التنحي في ظل التصعيد العسكري الحالي، بالإضافة إلى القيام بمزيد من التشاور والحشد في قمة مجموعة العشرين G20 القادمة. ومع كل ذلك، فإن الدلائل ما زالت تشير إلى أن الضربة قادمة، من ذلك: تصريح أوباما ووزير خارجيته كيري أن الرئيس له صلاحية السير قدماً بالهجوم حتى من دون إذن الكونجرس، استعدادات الجيران تركيا والأردن والصهاينة لهجوم كيماوي محتمل وذلك من خلال توزيع الأقنعة ووجود مئات الخبراء هناك، تأهب قوات خاصة في الأردن للسيطرة على مخازن الأسلحة الكيماوية، نشر بطاريات الصواريخ على الحدود التركية والفلسطينية مع سوريا، تحركات حثيثة لقوات بشار ونقلها لأعداد من السجناء إلى مراكز عسكرية قابلة أن تشملها الضربة ونقلها للمعدات العسكرية إلى المناطق السكنية والمدارس، وجود ٥ سفن حربية و٣ غواصات متطورة أمريكية في البحر المتوسط وبعض السفن وغواصة فرنسية كذلك، ثم لحاق سفينتين روسيتين بكل هذه التجهيزات، وغير ذلك. وحيث إن التجهيزات العسكرية للضربة تناقش علناً وبتفاصيل يفترض أن تبقى طي الكتمان وهو أمر مريب، فقد لحق بتلك السفن سفينة برمائية أمريكية قادرة على نقل مئات من جنود البحرية إلى الداخل.

ويأتي هذا الحراك بعد قرابة عامين ونصف من المذابح التي ترتكب بحق الشعب السوري من قبل عصابات الأسد النصيرية وأعوانهم من صفويي إيران ولبنان والعراق التكفيريين، وبمساعدة أطراف إقليمية ودولية مختلفة. والسؤال الذي يطرح نفسه هو ذاك المتعلق بتوقيت الضربة: لماذا الآن؟ وما الذي تغير؟ وكل هذا بسبب الضربة الكيماوية؟ والجواب الأول: نعم، إن الأمر متعلق بالكيماوي من عدة جهات، كلها غير مرتبطة بالناحية الإنسانية. السبب الرئيس هو الخط الأحمر الذي تمنى أوباما أنه لم يحذر به، لأنه بمجرد ما أطلق ذلك التهديد وتجاوزه بشار الأسد، فليس لدى أوباما خيار إلا الوفاء بتحذيره. وهذا ليس من باب صدق القول، وإنما من باب ما يسمى الحفاظ على قوة «الردع» "deterrence" في الدراسات الاستراتيجية. فعدم الوفاء بعهد كهذا يجَسِّر الأعداء ويظهر الولايات المتحدة في مظهر الضعف والتردد في القرار. ويتأكد هذا في ظل سعي النظام الأسدي ومؤيديه لبرهنة قدرتهم على زعزعة الاستقرار في المنطقة، وهو ما يُفهم من الحدثَيْن اللذين تَلَيا الكيماوي، وهما إطلاق ٤ صواريخ غراد من جنوب لبنان على شمال فلسطين المحتلة في اليوم التالي، وتفجيرا طرابلس في اليوم الذي بعده. الأمر الآخر بالنسبة للتوقيت هو أن استعمال الأسلحة الكيماوية يقلق الصهاينة، خاصة في بلد مجاور لهم. فهم لا يوَدّون رؤية استعمال تلك الأسلحة على تلك المقربة من حدودهم، وإن استُعمِلت ضد من يعتبرونهم أعداءً. فهم يخافون من وجود تلك الأسلحة في منطقة يسود فيها الفوضى، خشية أن تقع تلك الأسلحة في يد أعدائهم أو يد من قد يهاجمهم يأساً أو ترويجاً لكذبة المقاومة والممانعة.

بالنسبة لطبيعة الضربة ومداها، فقد صرحت الإدارة الأمريكية أنها ضربة سريعة وقصيرة المدى، وهذا ما تشير إليه الدلائل. فالهدف المعلن ليس إسقاط النظام، وأمريكا لا تريد التورط في سوريا على المدى البعيد. هذا وقد كرر أوباما رفضه لإرسال جنود على الأرض "No boots on the ground". إذن يبقى السؤال المهم عن جدوى هكذا ضربة. وبعد النظر في مختلف تحليلات المراكز الكبرى للدراسات السياسية والاستراتيجية والمجلات المعنية بذلك مثل بروكنجز وستراتفور وفورين بوليسي وفورين أفيرز وغيرها(Brookings, Stratfor, Foreign Policy, Foreign Affairs)، من الواضح أن هناك شبه إجماع على عدم جدوى الضربة السريعة والقصيرة التي تنوي واشنطن توجيهها، وذلك لأسباب منها:

١) أن هكذا ضربة ربما تضعف النظام قليلاً لكنها لن تحدث تغييراً في توازن القوى على الأرض. أقول: وهذا مقصود لذاته.
٢) يبدو أن القيادة العسكرية لم تدرج أياً من الأهداف الخطيرة التي سلمتها لها رئاسة هيئة الأركان السورية الحرة.
٣) أن الضربة الخفيفة لبعض قدرات النظام العسكرية ربما تستفز إيران وروسيا فيعوضوه بمال وسلاح يفوق تأثير الضربة عليه.
٤) أن أي هجوم لا يكون قاضياً عليه سيُقوّيه أكثر لأنه سيستغل الإعلام لتصوير الضربة على أنها ضربة إمبريالية صليبية، كما فعل القذافي وأنصاره في ثورة ٢٠١١، وأيضا سيصور الانسحاب الأمريكي على أنه نصرٌ له.
٥) أن التدخل لا يمكن أن يكون جزئياً، وحالَما تدخل أمريكا عسكرياً فلن يكون بمقدورها الانسحاب بتلك السهولة.

ولئن أردنا تحليل أهداف الضربة، لقد أراحتنا الإدارة الأمريكية من عناء ذلك وبينت علنا أن إسقاط بشار ليس هو المقصود. وعندها يبقى احتمالان آخران: إضعافه أو إنقاذه. لو سلّمنا أن الضربة العسكرية ستضعفه من خلال استهداف بعض مواقع تمركز دفاعاته الجوية ومنصات الصواريخ ومراكز القيادة والسيطرة، وربما كذلك بعض مواقع الأسلحة الكيماوية وإن كان مستبعدا، لنا أن نتساءل: أي إضعاف هذا الذي لن يستغرق إلا أياماً معدودةً وحملة الناتو على ليبيا استغرقت ٧ أشهر؟ وبحسب قيادات عسكرية أمريكية فإن الدفاعات الجوية السورية أقوى بخمسة أضعاف من تلك التي كانت في ليبيا، وإن كان ثَمّة فروق بين حالة التدخل في ليبيا والتدخل الحالي في سوريا.

أما إنقاذ بشار الأسد، فذلك لا يعني إنقاذه من ورطته وإبقاؤه فذلك ضرب من المستحيل، وأمريكا وحلفاؤها يدركون ذلك. إذن إنقاذه سيكون من خلال إيقاف المد العسكري الجهادي الذي سيحكم الخناق عليه عاجلا أو آجلا، ثم إقناعه بالتنازل عن السلطة والجلوس مع المعارضة بهدف إحراز تسوية سياسية تنهي الأزمة وتستبقي أجزاءً كبيرةً من نظامه الفاسد. وهذا الحل السياسي هو ما أشارت إليه مجلة فورين أفيرز Foreign Affairs التي رأت أن الحل الأمثل هو الضربة السريعة التي تدفع النظام إلى طاولة المفاوضات. لكن ما لم تذكره هو موقف الثورة الرافض للتفاوض مع الأسد وقَتَلَته بأي حال من الأحوال. ومع قوة خطاب أوباما ووزير خارجيته من قبله والإصرار على تنفيذ هذه الضربة، إلا أن الرجلين لم يُخفِيا كذلك حقيقة الحل الذي يرونه وهو الحل السياسي من خلال المفاوضات. ولعل هذا من الدروس القاسية التي تعلمتها الولايات المتحدة من كارثتي أفغانستان والعراق وهي أن العمل العسكري غير المصحوب بمشروع سياسي بديل يورث الفوضى ونتائج عكسية ولا يصنع استقراراً.

وإذا صدقت الأخبار عن حدوث اتصالات سرية بين وكالة الاستخبارات المركزية CIA وضباط في جيش الأسد لحثهم على الانشقاق والقيام بانقلاب عسكري، فذلك يشير إلى أن القوى الدولية بشكل عام والإدارة الأمريكية بشكل خاص لديها «سيسي» سوري محتمل للالتفاف على ثورتنا وتفريغها من مضمونها، وضمان مصالح الدول التي أتت به. لكن حيث إن الشعب السوري أثبت وعيه وبعد نظره السياسي عبر العامين المنصرمين بالنسبة للمحاولات الدولية لشراء المعارضة وتحييدها عن أهداف الثورة، فإن الالتفاف على ثورته لن يكون أمراً سهلاً.

ولئن كانت نية إضعاف بشار موجودة فعلاً، فذلك لا ينطبق فقط عليه وإنما كذلك على المجاهدين، خاصة من تعتبرهم أمريكا «إرهابيين». وقد بذلوا جهوداً مضنيةً للتعرف عليهم لاستهدافهم بطيارات بدون طيار. بل في إحدى اجتماعات المخابرات الأمريكية في الأردن فاجؤوا أحد القادة العسكريين المعارضين بطلبهم التصدي لجبهة النصرة حتى قبل مقاتلة الأسد! وحيث إن استخدام طيارات بدون طيار لضرب جبهة النصرة وغيرهم ممن تستهدفهم أمريكا سيكون ضرباً من الحماقة والسخافة التكتيكية، فالمرجح أنهم سيستعينون ببعض العملاء لذلك أثناء الضربة، وبـ «السيسي» القادم و«الصحوات» التي سينشئها لضرب المقاتلين ببعض على المستوى البعيد.

ولا شك عند متابع منصف أن إطاحة المجاهدين بعصابة الأسد كابوس مقلق للغرب، سواءً كانوا من الجيش الحر أو ممن يسميهم الغرب «الجهاديين»، فكلهم مُدرَجون تحت مظلة «الإسلاميين السنة» الذين قد يصلون إلى الحكم في سوريا وبالتالي يقلبون الموازين. ولئن كان الكلام على هذا الأمر محرماً في الإعلام الغربي في بدايات الثورة، إلا أنه الآن يملأ صحفهم وتحليلاتهم بدون خجل أو مواربة. وممن تكلم عن حاجة الغرب للتدخل في سوريا وفي غاية الوضوح رئيس الوزراء البريطاني الأسبق توني بلير والذي علل التدخل بالقضاء على «التشدد» ومنع سوريا من أن تصبح ملاذا للمتشددين أخطر بكثير من أفغانستان في التسعينات!

لقد أدرك الشعب السوري منذ بدايات الثورة أن الغرب ليس له مصلحة في انتصار الثورة ووقف المجازر سريعاً، وإنما يريد إطالة أمد الصراع إضعافاً للجهتين، وحفاظاً على مصالحه وأمن الصهاينة. وأدرك حينها الحراك الثوري أن الغرب سيتدخل فعلاً لكن في الوقت الذي يراه مناسباً ويحقق تلك المصالح. ومنذ ذلك الحين والشعب السوري على يقين ألا ناصر له إلا الله، ثم تضحيات المخلصين من المجاهدين والداعمين والسياسيين والناشطين.

إذن يمكن تلخيص أهداف الضربة العسكرية في النقاط التالية:

١) الحفاظ على ماء الوجه بعد جعل استخدام الأسلحة الكيماوية خطاً أحمر.

٢) منع المقاتلين من تحقيق النصر على النظام الأسدي.

٣) التسريع في تسوية سياسية تحت أعين الدول المشاركة بالضربة وحسب شروطهم.

٤) السيطرة على الأسلحة الكيماوية حفاظاً على أمن الصهاينة.

٥) استهداف المقاتلين الإسلاميين الذين تصنفهم القوى الدولية بـ «الإرهابيين».

ومن المفهوم أن أنصار الثورة السورية في الداخل والخارج على مختلف مشاربهم، مجاهدون ونشطاء وعلماء وسياسيون منقسمون في تأييد هذه الضربة من عدمه. وهذا الانقسام طبيعي في فتن تجعل الحليم حيران وخيارات أحلاها مرٌّ. لكن لا ينبغي الوقوف عند ذلك؛ لأن معارضة الضربة غالبا لن يجدي شيئا في ظرفنا هذا. فواشنطن لا تلقي بالا لمعارضة أحد إذا استيقنت أن مصلحتها تكمن في فعلها هذا. وهذا ما حدا بها الآن لتجاوز الأمم المتحدة والمجتمع الدولي لتجهز «ائتلاف الراغبين» "coalition of the willing" الذي سيشاركها في الهجوم. وهذا ما فعلته في العراق في ٢٠٠٣، ولم تثنها حينها المظاهرات العالمية المعبرة عن الرفض العالمي لتلك الحرب الظالمة.

إذن، بغض النظر عن رأينا في الضربة وتأييدنا لها من عدمه، الأفضل هو العمل على استغلال الضربة لتحقيق أكبر قدر من المكاسب التي تصب في مصلحة ثورتنا. وذلك سيكون من خلال استعداد المجاهدين التام للانقضاض على مختلف مراكز القوة للنظام مستغلين معنويات الجنود المنهارة والهلع المسيطر عليهم من قرب موعد الضربة. وإذا صدقت الأخبار عن هروب بعض عائلات آل مخلوف وشاليش وغيرهم من أعتى مناصري النظام إلى لبنان، إضافة إلى ما ثبت من انشقاقات في صفوف الضباط منذ الإعلان عن الضربة، فذلك دليل على فاعلية الحرب الإعلامية التي نستطيع شنها عليهم من خلال قنوات الإعلام ووسائل الاتصال الاجتماعي. والمطلوب اليوم العمل على رص الصفوف والتأليف بين الكتائب المجاهدة على أرض الوطن، والاعتصام بحبل الله جميعا. والمطلوب كذلك التسلح باليقين أن النصر من عند الله وأن الكَوْن بيده يقدر فيه ما يشاء، ثم علينا الإدراك أن الحسم العسكري لن يكون إلا بأيدينا نحن، وعلينا التأكيد والتذكير بأُسس الثورة وما خرجنا وقدمنا مئات آلاف الشهداء والجرحى من أجله، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ ■

عقيدة المسلم (٢)

الركن الأول من أركان الإيمان: الإيمان بالله

الشيخ فايز الصلاح

وهو: الاعتقاد الجازم بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

الإيمان بربوبية الله تعالى:

الإيمانُ الجازم بأنه موجود، وأنه وحده الخالق المالك المتصرف.

فالرب: من يملكُ الشيء ويُحسن رعايته.

الإيمان بوجود الله تعالى:

وقد دلَّ على وجوده تعالى: الفطرة، والعقل، والشرع، والحسُّ.

١- أما دلالة الفطرة: فإنَّ كل مخلوق قد فُطرَ على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم؛ لقول النبي ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»، رواه البخاري ومسلم، و(يُمَجِّسَانِهِ): يغيران دينه إلى دين مجوسي.

٢- وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى فلأن هذه المخلوقات، لابد لها من خالق أوجدها؛ إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد مصادفة؛ لأن كل حادث لابد له من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، يمنعُ منعًا باتًّا أن يكون وجودها مصادفة، فيتعيَّن أن يكون لها موجد، ولا أعظم ولا أقدر من الله تعالى رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي، حيث قال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (الطور: ٥٣)، ولهذا لما سمع جبير بن مطعم رسولَ الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات وكان يومئذ مشركًا قال: (كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ) رواه البخاري.

٣- وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى: فلأن الكتب السماوية كُلَّها تنطقُ بذلك، وما جاءت به من الأحكام العادلة المتضمنة لمصالح الخلق؛ دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار التي شهد الواقع بصدقها؛ دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

٤- وأما أدلة الحس على وجود الله؛ فمن وجهين:

أحدهما: أننا نسمعُ ونشاهدُ من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدلُ دلالة قاطعة على وجوده سبحانه، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ (الأنفال: ٩).

الوجه الثاني: أنَّ آيات الأنبياء التي تسمَّى المعجزات برهان قاطع على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى؛ لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى؛ تأييدًا لرسله، ونصرًا لهم، كآيات موسى، وعيسى، ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه.

ولم يُعلم أن أحدًا من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه، إلا أن يكون مكابرًا معاندًا، كما حصل من فرعون، حين قال لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (النازعات: ٤٢)، وقال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (النمل: ٤١).

ولهذا كان المشركون يقرُّون بربوبية الله تعالى، مع إشراكهم به في الألوهية، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة الزخرف: ٩).

وقال سبحانه: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (سورة الزخرف: ٧٨) ■

خاطرة في الموت والحياة

مجاهد مأمون ديرانية

صار الموت قريباً من الناس في سوريا كما لم يكن قط، فمنهم من اتكل على الله وآمن بالقدر فلا يبالي الموتَ ولا يفكر فيه، وربما اقتحم الأهوال وركب الأخطار في ساحات النزال وقال: حَيَّهلا بموت يقرّبني من الأحبة السابقين، محمد وصحبه الكرام! ومنهم من ضَنّ بنفسه واعتصم ببيته واستسلم للمخاوف والأوهام، يطارده شبح الموت في اليقظة ويراه في كوابيس الأحلام، فيعذب نفسه ويحمّلها حملاً ثقيلاً من الهموم هو في غنى عنه لو آمن بالقدر وفوّض أمره إلى الله.

أما أنا فقد فهمت ما بعد الموت فاشتقت إليه، فإنه ليس انتقالاً إلى عالم بعيد مسربل بأغشية الغيب، بل هو عالم قريب قريب، والانتقال إليه سهل يسير لا معنى للخوف منه. ألسنا نموت كل ليلة؟ ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ (الزمر: ٢٤)، كم من مرة رأيتَ فيها نفسك في المنام محلّقاً في الجواء أو طاوياً الأزمنة في طرفة عين؟ إن النفس إذا تحررت من الجسد تخلصت من أعبائه وقيوده التي تربطه بالعالم الأرضي، قيود الجاذبية والهرم والفناء، وانطلقت بلا حدود ولا قيود ولا أعباء.

من صَلُح عمله لم يجد في الموت سوى انتقال إلى عالم الحرية والخلود، انتقال إلى عالم ساحر فتّان، فهو في البرزخ في نعيم إلى يوم يُنفَخ في الصور: «فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ. قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ». وهو في صحبة الصالحين والأخيار: «إِذَا حُضِرَ الْمُؤْمِنُ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ فَيَقُولُونَ: اخْرُجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكِ إِلَى رَوْحِ اللَّهِ، وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ الْمِسْكِ ... فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ يَقْدَمُ عَلَيْهِ، فَيَسْأَلُونَهُ: مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَيَقُولُونَ: دَعُوهُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا».

أرأيتم كيف وصف أهلُ البرزخ الدنيا بالغمّ؟ إنه حكم الخبير، ولم يحكموا به إلا بعدما عاشوا الحياتين وجربوا الحالتين. فيا أيها الناس: اذكروا الموت واعملوا لما بعده، ولا يؤجلنّ إلى الغد عابدٌ طاعةً ولا عاصٍ توبةً، فما يَدري أحدُنا متى يطرقه طارقه ومتى يصله النداء.

أسأل الله حسنَ الخاتمة والوفاةَ على الإيمان، لي ولأهل بيتي، ولإخواني المؤمنين وأخواتي المؤمنات ■

طهارة المسلم (٢)

أحكام المياه

د. عماد الدين خيتي

أقسام المياه:

أ- الماء الطهور: وهو الماء الباقي على أصل خِلقته التي خلقه الله عليها، كماء البحار، والأنهار، والآبار، والأمطار، فيجوز الشرب منه واستعماله، والتطهر به.

فإذا حصل في الماء تغيُّر في لونه أو طعمه أو رائحته بسبب طول المكث كمياه المستنقعات، أو بسبب المكان الذي يوجد فيه، كمياه الخزانات، أو المكان الذي يمـرُّ فيـه، كالمياه التي تمرُّ في الأنابيب، أو بسـبب تراب، أو بمخالطة ما لا ينفك عنه غالبًا، كالطحالب وورق الشجر الذي يسقط في الماء، فإن اسم الماء المطلق يتناوله باتفاق العلماء، وهو طاهر مطهر لغيره.

ب- المـاء النجس: الذي تغيَّر أحد أوصافه الثلاثة (اللون، أو الطعم) أو الريح بسبب مخالطته للنجاسة.

فإن تغيرت إحدى الصفات السـابقة بسـبب ما وقع فيه من نجاسـة فهو نجس: قلَّ الماء أو كثر.

أمـا إذا لـم يتغير الماء مع وجود النجاسـة فيه فهو طاهر سـواء كان دون القُلَّتين أو أكثر، على الأرجح.

والقُلَّة: جرّة بقدر ما يطيق الإنسـان المتوسـط حملها لو مُلئت ماءً، وهي تساوي حوالي ٩٣,٧٥ صاعًا، أي (١٦٠,٥) لتراً تقريبًا.

ج- الماء الطاهر، وهو نوعان:

١ / المـاء المسـتعمل: وهـو المنفصـل مـن أعضـاء المتوضئ والمغتسـل إذا اجتمع بعد ذلك، والذي استعمل في طهارة، كماء المسبح، ونحوه.
وحكمه أنه طهور، كالماء المطلق، في الراجح.

فيجوز للرجل أن يغتسل بما تبقى من الماء الذي اغتسلت منه المرأة، كما أنـه يجوز للمرأة أن تغتسـل بمـا تبقى من الماء الذي اغتسـل منه الرجل؛ لحديث (اغْتَسَـلَ بَعْضُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَفْنَةٍ (القصعة الكبيرة التي يوضع فيها الطعام) فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَتَوَضَّأَ مِنْهَا -أَوْ يَغْتَسِلَ- فَقَالَتْ لَهُ: يَـا رَسُـولَ اللَّـهِ، إِنِّي كُنْتُ جُنُبًا، فَقَالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ: إِنَّ الْمَاءَ لاَ يَجْنُبُ) رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجة، وأحمد.

٢ / الماء الذي خالطه طاهر: كالصابون والزعفران والدقيق وغيرها فأخرجه عن مسمى الماء المطلق، فهو طاهر يجوز استعماله في تطهير النجاسات، أما استعماله في رفع الحدث فلا يجوز؛ لأنَّه لم يعد ماءً مطلقًا.

الماء المُشَمَّس:

كره استعماله بعض أهل العلم، والصحيح عدم كراهته؛ لضعف الحديث الوارد في أنه (يُورِثُ الْبَرَصَ)، وعدم ثبوت أضرار طبية في استعماله.

الماء الراكد:

- لا يجـوز الاغتسـال فيـه من الجنابـة؛ لحديث أبي هريـرة -رضي الله عنـه- قـال: قـال رسـول ﷺ: (لاَ يَغْتَسِـلُ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ وَهُوَ جُنُبٌ). رواه البخاري ومسلم، و(الْمَاءِ الدَّائم): الراكد.

ولا يجـوز البـول فيه، لحديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لاَ يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ» رواه مسلم.

فمـن عَلِـمَ بوجـود نجاسـةٍ فـي الماء الراكد فلا يجوز له اسـتخدامه أو الطهارة منه ■

من علماء سوريا



عبد القادر الأرناؤوط

(ت ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م)

الاسـم المشـهور هو عبد القادر الأرناؤوط، واسمه في الهُويَّة الشَّخصية (قَدْري).

ونسبه: قَدْري بن صَوْقَل بن عَبْدُول بن سِنَان، وُلد بقرية «فريلا» (vrela) في إقليم كوسوفا من بلاد الأرنؤوط فيما كان يُعرف بيوغوسلافيا، سنة ١٣٤٧هـ الموافق سنة ١٩٢٨م.

وقـد هاجـر سـنَةَ ١٣٥٣هــ الموافـق ١٩٣١م إلـى دمشـق بصُحبـة والده -رحمـه اللـه- و بقيَّـة عائلتـه، وكان عمـره آنذاك ثلاثَ سـنوات، ترعرع الشَّيخُ في دمشق الشام، وتلقَّى تعليمه أوَّل الأمر في مدرسـة (الإسعاف الخيري) بدمشـق بعد دِراسـة سـنتين في مدرسـة (الأدب الإسـلامي) بدمشق. وبقِي في مدرسة (الإسعاف الخيري) يطلب العلم.

عمِل بدايةً في تصليح السـاعات، ثم انضَمّ - سـنة ١٣٧٧هـ الموافق سـنة ١٩٥٧م - إلى فريق البَحث العلميِّ وتحقيق التُّراث بالمكتب الإسلاميِّ.

وكان يُلقـي الدروس في معهد الأمينيَّة (وهي مدرسـة قديمة للشـافعيَّة، لها مبنًى جديد في جامع الزهراء بالمزة).

لـم يعتمـد الشَّـيخُ منهج التَّأليـف، بـل اعتمد منهـج التَّحقيـق، وقد قام بتحقيـق كتُـب كثيرة؛ منها (زاد المسير في علم التفسير) لابن الجوزي، و(المبدع في شرح المقنع) لابن مفلح، و(روضة الطالبين) للنووي، و(جلاء الأفهام في الصَّلاة على خير الأنام)، لابن القيِّم، وغيرها.

كمـا تولى الشـيخ عبد القادر الخطابةَ وهو فـي أوائل العقْد الثالث، نحو سـنة ١٣٦٩هـ الموافق سـنة ١٩٤٨م، في جامع الأرناؤوط بحيّ الدِّيوانيَّة، ثـم انتقـل إلـى جامـع عمر بـن الخطّاب رضي الله عنه، ثـم جامع الإصـلاح بحيِّ الدَّحاديل، ثـم جامـع المحمـدي فـي حـي المزَّة الغربي، وكانـت خطبـهُ تسـتقطب آلافَ المصلِّين، جلُّهم من شـباب الصَّحـوة وطلاَّب العلم، حتى صدر القرارُ بعَزْله عن الخَطابة سنة ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٤م ■

لا تحــــزني أيتها الغوطة !!



الشيخ عبد الرحمن الجميلي

لم تكن غوطة دمشق بدعاً من البلاد الإسلامية، لم تكن الغوطة أول أرض يُصَبُّ عليها العذاب صباً، لم تكن غوطة الشام أول بلد إسلامي يلقى الموت على أيدي الإجرام من أهل الزندقة والكفر والإلحاد... أجل يا غوطتي الحبيبة... فلا تحزني!!

ألم تسمعي يا غوطة الشام بما حلَّ بأختك بغداد؟ حيث أوغل فيها التتار قتلاً، وسفكاً وتخريباً، ولقد قُتل آخر خلفاء بني العباس على يد جنود هولاكو رفساً وضرباً حتى قضى، ذلك بإشارة الرافضي الخبيث ابن العلقمي، ثم استباحوا أختك بغداد، عاصمة خلافة المسلمين، فقتل التتريون جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والشيوخ... حتى دخل الناس في الآبار والحشوش (أماكن قضاء الحاجات) وحُفر القمامة الأوساخ، وظلوا أياماً لا يظهرون، بل كان البعض يهرع إلى الخانات، فيلحقهم التتار فيهربون إلى أعالي الأبنية، فيُقتلون حتى تسيل الميازيب من دماء إخوانك في الأزقة، فإنا لله وإنا إليه راجعون... فلا تحزني يا أختاه!

ألم تشهدي يا أختاه ما حلَّ بأختك القدس، مسرى الرسول ومهبط الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، حيث لاقت إثر الحملات الصليبية المتتالية، من الألمان والنورمان والإنكليز والفرنسيين وغيرهم، من الظلم والعذاب ما لاقت، وكيف عاثوا فيها الفساد، وكيف قاموا بسبي النساء والأولاد، وكم أراقوا فيها من الدماء؟!

ألا تتذكرين يا أختاه أختنا تركستان؟! تركستان الشرقية، التي وقعت ضحية الدولتين الشيوعيتين، روسيا والصين، اللتين تعيدان الكرة في سفك دمائنا وقتل أطفالنا، بل ورشّنا بالمواد السامة، تركستان التي ودعت في عام ١٩٣٤م وحده مئةَ ألف مسلم على أيدي الشيوعيين، واستمرت الاعتقالات والاغتيالات بكل أنواعها وأشكالها، حتى أصبحت تركستان بين قتيل وشريد، ومعتقل وهارب بنفسه في غياهب المجهول، فمن سنة ١٩٣٢ إلى ١٩٣٤ فقط قضى حوالي ثلاثة ملايين مسلم جوعاً بمؤامرة الصين وروسيا عليهم... فلا تحزني يا أختاه!!

ألم تسمعي يا أختاه بشبه جزيرة القرم؟ تلك الجزيرة الجميلة، التي يحيط بها البحر الأسود من الجنوب والغرب، ويعصمها من الشرق بحر آزوف... جمهورية رائعة، حكمها المسلمون ثلاثة قرون، حتى إن الروس كانوا يدفعون الجزية لأميرها محمد كيراي، ولقد أباد الروس أكثر من مئة ألف بالتجويع، وعملوا على إرغامهم على الهجرة، ولقد عملوا على جعل القرم أرضاً ومسكناً ليهود روسيا، ولما اعترضت حكومة القرم، قاموا بإعدام رئيس الحكومة، ونفوا أربعين ألف مسلم إلى سيبيريا... فلا تحزني يا أختاه!!

ألم تري يا أختاه أرض الحبشة ؟! الأرض التي زاد عدد سكانها المسلمين على غيرهم، حتى جاء هيلاسيلاسي، الذي منحته الكنيسة الأثيوبية ثوب القداسة، حتى جعل همَّه وديدنه القضاء على المسلمين، فمنع لغة القرآن، ومنع كل نشاط لدين الإسلام، ووطد العلاقة باليهود، وشرَّد المسلمين، وأحل محلَّهم في الأراضي والمساكن طوابير النصارى الحاقدين، وكان يتباهى أمام الكونجرس الأمريكي بأهدافه الحاقدة، وخططه الإجرامية، ولقد قام بإحراق الشيوخ والنساء والأطفال من المسلمين... وجاء بعده منجستو الذي أطلق النيران على المسلمين في المسجد الكبير في مدينة ريرادار أوجادين فقتل أكثر من ألف من المصلين في رمضان ١٣٩٩هـ... فلا تحزني يا أختاه!!

أختاه: اذكري مسلمي ليبيريا، حيث قام الوثنيون بحرق عشرين قرية يقطنها المسلمون، وحرقوا المساجد، وقتلوا الأئمة والدعاة، ومثَّلوا بالجثث، حتى فصلوا عنها الرؤوس، واذكري يا أختاه بورما، أفغانستان، الشيشان، البوسنة، الهرسك... يا أختاه مَن ذكرَ مصيبةَ غيره هانت عليه مصيبته!!

ولا تنسي -يا أختاه- مذابح المسلمين في الفلبين، حيث حُرِّقت البيوت، وبُقرت البطون، وذُبح الناس بالخناجر، على مرأى من هذا العالم المتحضَّر.

ولن ننسى -يا أختاه- مذبحة أحمد آباد في الهند عام ١٩٧٠م، التي راح فيها خمسة عشر ألفاً من المسلمين على أيدي عبَّاد البقر، حُرق منهم ٣٠٠ امرأة بالنار، وهنَّ على قيد الحياة، وهل ننسى تايلاند وبنغلاديش وحماة وحلب المشارقة وجسر الشغور... وفي كل ذلك لنا به -يا أختاه- عزاء!!

أختاه لا تحزني! فقد اختارك الربُّ الكريم أن تكوني مقرَّ قيادة المسلمين في الملحمة الكبرى بين أهل الإسلام وبين أهل الزيغ والكفر والعناد! فما أدراك أن ما يصيبك إرهاصات الملحمة الكبرى، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ فُسْطَاطَ المسلمين يومَ الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق، من خير مدائن الشام» أخرجه أبو داود بإسناد صحيح.

فاصبري يا أختاه، عسى أن يجعل الله للمجاهدين في رحابك شأناً كبيراً، فأنت اليوم علامة هامة ودلالة كبيرة، يجب على أهل الإسلام أن يتنبهوا لها، ويحسبوا لها الحسابات، فلا نستطيع إنزال حديث أبي الدرداء -رضي الله عنه- على واقعتنا اليوم؛ لأن هذا من علم الغيب، ولكننا نؤمن أن الملحمة الكبرى قائمة في بلاد الشام؛ لعموم النصوص والأخبار في ذلك، من أجل هذا فالمواجهة مع أعداء الله أمرٌ لا بد منه، ولا يمكن الفرار منها... فالإعدادَ الإعداد... والهمَّةَ الهمة... والوحدةَ الوحدة يا أمة الإسلام!!

أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يتقبل شهداءك وشهداء المسلمين، ويشفي مرضاك ومرضى المسلمين، وينصرنا على أعداء الدين، والحمد لله رب العالمين ■

واحة الشعر

دمشق

د. وائل عبد الرحمن حبنّكة الميداني

بلّغ دمشقَ بأنني أهواها
مهما نأتْ فالقلب لن ينساها
سأظلّ أرسمها على دمع جرى
من مقلتي شوقاً إلى لقياها
ولسوف أجمعها وروداً يختفي
نَتَنُ الحياةِ بعطرها وشذاها
إن باعدَتْنا يا دمشقُ حظوظنا
أو ضلّ دربُ غرامنا أو تاها
فجبالُ مجدك في الفؤاد سهولُها
وعلى الجباه الشامخات ذُراها
يا أيها الزمن الملطّخُ وجهُهُ
بدماء شعبٍ بالوداد تباهى
بلّغ شعوب الأرضِ أن دمشقنا
رغم الأسى ستذيب جمر أساها
واحمل رسائلنا إلى من هلّلوا
للشام لمّا شيّعت قتلاها
بلّغهمُ أن العدالةَ موعدٌ
تأتي متى داعي الحقوق دعاها
قل للذين تمزّقَتْ أجسادهم
في أرضها وتمرّغوا بثراها
يوماً ستصدق أمنياتُ جدودنا
وترى دمشقُ وجوهَنا ونراها
ودماؤهم ستكون جيلاً حاضراً
روحاً وقلباً نابضاً وشفاها
أما الذين تصيّدوا من أزهروا
بربوعها أو أثمروا برباها
سيرد ربي كيدَهم لنحورهم
في ساعةٍ عينُ القضاء تراها
هي سنةٌ والله ينجز وعده
بمشيئةٍ في الغيب سرُّ سناها

هل تحيا حمص؟

هند الحمصية

قصيدة كتبتها فتاة من حمص اسمها هند عمرها ستة عشر عاما تعيش تحت القصف و ترفض مغادرة حمص

بالأسود أرسم كلمات
أكتب عن قلب يحترق
أشعر في هذي اللحظات
بصعوبة وصف الإحساس
هل تحيا حمص و هل نحيا
أم ندفن تحت الأنقاض
خوف وحصار ورجاء
أمل و ظلام و حياة
موت وفراغ وتخاذل
وأحاسيس أخرى
ضلّت عنا الأسماء
لكنها في الروح تعشّشَ
و الكون شتاءٌ وعواصف
ريح... أمطار و قذائف
بردٌ... ألمٌ ... بردٌ ألمٌ
وصفير في الخارج ومدافع
ورصاصٌ يخترق الجوَ
يعزف صاروخ أنغامه
و الموت يوّقع ألحانه
و حقائب تحزم من حولي
يستسلم ناسٌ لرحيل
أما نحن ...
فبإذن المولى باقون
باقون ...نعم
ما بقي الزعتر والزيتون

«ماذا علينا لو قلنا ببساطة الحق دون أن يخرجنا الحماس عن وعينا، ولا أن يوقعنا في مصائد ينصبها لنا خصومنا» الشيخ محمد الغزالي

ســمـــــاع الـقـــرآن

عبد الله السفياني

كان صوته نديًّا وهو يشق عُباب الفجر، ويفتتح الصباح بأنفاس القرآن.

كان لتقاسيم صوته -وهو يمدها في أَلَق الآيات- نسيمٌ يخالط الرُّوح، وسحابٌ نديٌّ يغسل النفس، ويعيد إليها قيمة الحياة.

كانت آخر آية توقف عندها هي قول الحق: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (الإسراء: ١٠٦).

انتهى الصوت في لجة الصمت، وتَناهَى بعيدًا بعيدًا بعيدًا، كبقايا دُخَانٍ أخذ يغيب عن الأنظار، وبعد في أفق السماء. أما أنا فقد بدأت معي رحلة المعنى!

استوقفتني الكلمات الثلاث الأولى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ﴾، وصرت أرددها بهمس، وأذوب في أعماقها وجرسها العجيب، في هذه «القافات» الثلاث التي تتكرر في كل كلمة، لتصنع دهشةً تتسلل عبر الأذن وتقع في أعماق الروح.

إنك تجد بيانك قاصرًا عن بيان سرها، وما تحس به من هزة عنيفة في داخلك، فلا تملك إلا أن تستمع لصوتها في داخلك يتهادى كموجٍ هادرٍ في بحر لجي!

عادت بي الذكريات إلى لحظة قديمة قلت فيها لبعض الأصدقاء: لماذا لا يكون لدينا مجالس لسماع القرآن فحسب؟ لماذا لا نتحلق في المساجد بُعَيدَ الصلاة نستمع إلى قارئ عذب الصوت يرتل على أسماعنا آيات القرآن؟

لقد عشنا عقودًا من حياتنا نتحلق حول الخطباء والوعاظ والعلماء نسمع منهم كلام الخلق، ولم نجلس متحلِّقين كسكون الصحراء نستمع لوقع المطر القرآني على رمالها.

الآية السابقة من سورة الإسراء فيها لفتة عجيبة إلى هذا المعنى الغائب عنا، فقد وصفت الآية القرآن بوصفين، وطلبت من الرسول ﷺ أمرين متعلقين بالوصفين.

أما الوصف الأول: فكون القرآن مقروءًا، وهذا مأخوذ من اسمه (وقرآنًا).

وأما الوصف الثاني: فكون القرآن مفروقًا مُنَجَّمًا لم ينزل دفعة واحد (فرقناه).

وما دام القرآن مقروءًا فاقرأه (على الناس)، وما دام منجمًا مفروقًا فاقرأه (على مكث).

إن الآية تخبرنا بصراحة متناهية أن القرآن نزل (لتقرأه على الناس)، فهل نقرأ القرآن على الناس ونسمعهم كلام ربهم؟

والآية تخبرنا أن هذه القراءة على الناس تكون (على مكث)، والمكث: الهدوء والتُّؤَدة.

وفي هذا اللفظ الثلاثي (مكث) من اللطف والرقة ما يجعله يسري كنسيم بارد فيعانق شغاف القلوب، ثم إذا أمعنت النظر مرة أخرى وسألت نفسك: لِمَ آثَرَ التعبير القرآني هذا اللفظ «المكث» دون غيره كـ«الهدوء» و«البطء»؟ فإنك ستجد في هذه اللفظة معنًى دقيقًا وسرًّا عجيبًا؛ ذلك أن «المكث» يحمل معنى الانتظار وعدم الاستعجال، و«مَكَثَ فلانٌ» أي: انتظَرَ، وهو معنى منصوص عليه في كتب اللغة؛ ففي معجم المقاييس: «الميم والكاف والثاء كلمةٌ تدلُّ على توقف وانتظار».

هذا الانتظار هو الذي يدعو النبيَّ ﷺ -صاحبَ هذه المعجزة- وأتباعَه -حملةَ القرآن- على أن يقرؤوا على الناس القرآن، وينتظروا، ويصبروا، ويداوموا؛ لأن الانتظار والمكث على هذه القراءة سيجعلها تؤتي ثمارها في لحظة مواتية تتمكن فيها الآيات من النفوس.

فإذا قَرَنْتَ هذا المعنى بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧).

رأيت أن الذكرى تحصل بتدبر القلب، وتحصل كذلك بإلقاء السمع. ولاحِظ هذا التعبير القرآني الذي آثر هذه الاستعارة (ألقى السمع) على الاستخدام المباشر «استمع» حيث إن مجرد «إلقاء السمع» العابر مع حضور القلب يحدث الذكرى التي هي غاية حياة القلوب.

إن الاستماع للقرآن هداية عظيمة غفلنا عنها كثيرًا كثيرًا. وهي تختلف عن تعلم القرآن وتدبر القرآن وحفظ القرآن، وفي كلٍّ خير، لكن قضية «الاستماع» هذه حاضرة في النص القرآني بطريقة ملفتة للنظر.

ولعلك -إذا تأملت القرآن- تدرك سرًّا من أسرار تقديم السمع على البصر في أغلب آيات الكتاب العزيز؛ فالسمع هو منفذ المعرفة الأكثر سطوةً في توجيه العقل الإنساني.

إن الله تعالى أوحى إلى نبيه هذا الكتاب المعجز، وكان من إعجازه أنه يحمل دليله عليه فيه وليس معه، فإذا رفرفت كلماتُه في فضاء الكون والتقطتها أذن واعية استدلت هذه الأذن من فحوى الكلام أن شيئًا غير مسبوق يسري في أجساد الكلمات فيحيلها أرواحًا تتعانق في جو السماء.

ولذلك أمر الله تعالى نبيه بأمر يقيم به الحجة على مشركي العرب، غاية هذا الأمر أن يسمعهم هذا الكلام المعجز؛ فقال له: ﴿وإنْ أحدٌ منَ المشركينَ استجارَكَ فأَجِرْهُ حتى يسمعَ كلامَ اللهِ ثم أبلِغْهُ مَأمَنَهُ﴾ (التوبة: ٦).

إنها فرصة مواتية لعرض الدعوة وإقامة الحجة وقوامها «سماع كلام الله»، وتأمل كيف آثر هذا التعبير (كلام الله) عن غيره من الألفاظ كـ«القرآن» و«الكتاب» و«الذكر» وغيرها، ولا تغفل عنه؛ ذلك لأن المستمع حين يستمع سيدرك أن المسموع هو «كلام الله»، ومن سمع «كلام الله» حُقَّ له أن يبلغ مأمنه.

ونحن ما زلنا نعيش في عالم الخوف ولم نبلغ المأمن؛ لأننا حتى هذه اللحظة ما زلنا مفرِّطين في قضية الاستماع للقرآن.

إن الآمال معقودة في أن نعيد النظر في قضية «الاستماع إلى القرآن»؛ فقد كثرت سماعاتنا لغيره، وعلقت الآمال بكلام غيره من البشر الذين نستمع إلى حديثهم، فتبهرنا بلاغتهم، وتأسرنا فصاحتهم، ولكنها دهشة اللحظة التي تنقضي بانقضاء صاحبها، وتنتهي بانتهاء حروفها. أما استماع «كلام الله» فإنه يخلق في النفس دهشة لا تنقضي، وإعجابا لا ينتهي، وبركة تُظِلُّ صاحبَها بالهداية والصلاح. وكم سجل لنا تاريخ الدعوة قصصًا كان استماع القرآن فيها بداية لحياة أصحابها.

فهل سيتحقق الأمل، ونرى مجالس في بيوت الله يتحلق فيها الناس ليسمعوا كلام الله، بأصوات رخيمة لا تكلف فيها، ولا تدخُّل فيها لكلام البشر؛ لنحقق معنى النهج والهدي القرآني الذي يقول: ﴿وقرآنًا فرَقْناهُ لتقرأَهُ على الناسِ على مُكْثٍ ونزَّلْناهُ تنزيلاً﴾ ■

الوعي بأهداف العدو وأساليبه ...
... في الحرب النفسية

د. فهمي قطب الدين النجار

إن الوعي بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسيَّة من أهم عناصر المقاومة لهذه الحرب؛ لذلك نجد كل الجيوش تُطالب كل جندي بأن يكون واعيًا ومُدركًا وعارفًا بما يلي؛ حتى لا يخدعه أو يُضلِّله:

- ماذا يدبِّر العدو ضد أمته؟
- ما هدف دعايته؟
- ماذا يريد العدو منك أن تفعله؟
- ما أسلوب الحرب النفسيَّة للعدو، وما طبيعة دعايته؟

وهذا الوعي يجعل المقاتل مستعدًّا استعدادًا نفسيًّا لمواجهة الحرب النفسية، وعدم الاستجابة لها والتأثر بها، وخاصة إذا كان مسلمًا، إضافة إلى الوعي والمعرفة والإيمان القوي والعقيدة الراسخة.

وقد عُني القرآن بكشف أهداف أعداء الإسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين، وفضْح أساليبهم ومحاولاتهم للتفريق بين المسلمين، والقضاء على وَحدتهم وأمنهم، ودورهم في التخذيل والتوهين وتثبيط العزائم، ومحاولتهم للتشكيك وزعزعة الثقة في النصر على الأعداء، وأرشد القرآن المسلمين إلى طريق مواجَهة هذه المحاولات ومقاومتها والقضاء عليها، وهذا ما نبيِّنه باختصار فيما يلي:

أ- فضْح محاولات التفرقة ومقاومتها: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٠٠)، ثم قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران: ١٠١).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢، ١٠٣).

والقرآن يدعو المسلم إلى الحذر من الأعداء مع تبيان هؤلاء الأعداء: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (المنافقون: ٤).

ويُقصَد بهم المنافقون في هذه الآية، وكذلك اليهود من أعداء الله وأعداء المسلمين قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ (المائدة: ٨٢).

ب- كشْف محاولات التخذيل وتثبيط العزائم: يُقرِّر القرآن الكريم أن الدور الذي يؤدِّيه أعداء الإسلام في التخذيل وتثبيط العزائم وإضعاف الهمم له خطورتُه، إذا انساق في تياره أبناء الأمة، ويوضِّح أنه كلما لقيت دعواتهم آذانًا مصغية، فإنهم يفرحون بذلك ويستبشرون، وهذا شأنهم في كل عصر.

ومن الأمثلة التي أوردها القرآن في هذا المجال أولئك المنافقون الذين دعوا المسلمين – عندما أمر الرسول عليه السلام بالإعداد لغزوة تبوك – إلى أن يتخلَّوا عن الرسول، ولا ينفروا في لظى الشمس ووهج الحرِّ، فجاءت الآية الكريمة تُحذِّر من اتِّباعهم، وتُنبئهم بأن جهنم أشد حرًّا، وتطلب من الرسول ألا يستعين بهم في غزوة أخرى؛ قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ (التوبة: ٨١ – ٨٣)، فالقرآن هنا لا يَكشف محاولات تثبيط العزائم، ويُحذِّر المسلمين من الاستجابة لها فحسب، بل يُقرِّر أيضًا ضرورة تطهير الجيش من أمثال هؤلاء المنافقين؛ لشدة خطرهم عليه.

ج- كشْف محاولات زعزعة الثقة في النصر: ويَكشف القرآن أيضًا محاولات أعداء الإسلام لزعزعة المسلمين؛ فأورد مثالاً على ذلك أولئك المنافقين الذين أرادوا أن يَنفُثوا سمومهم في أهل المدينة يُشكِّكونهم في وعْد الله ورسوله بالنصر والفتح المبين، فركَّزوا على جانب التوهين والتخذيل والتخويف وإضعاف العزائم؛ ليتركوا الرسول – في غزوة الخندق – وحده مع نفر قليل، وليَرجعوا إلى بيوتهم متعلِّلين بأنها غير محصَّنة، وكان الخندق خارج المدينة.. قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (الأحزاب: ١٢، ١٣) ■

«إذا أنعم الله عليك بموهبة لست تراها في إخوانك، فلا تفسدها بالاستطالة عليهم بينك وبين نفسك، وبالتحدث عنها كثيراً بينك وبينهم، فإن نصف الذكاء مع التواضع أحب إلى قلوب الناس وأنفع للمجتمع من ذكاء كامل مع الغرور» مصطفى السباعي

عشرة مفاتيح للفرج بعد الشدائد

أميمة الجاب

كلنا يعيش الأزمات المتلاحقة، فقد تضيق الدنيا في عيون البعض، لكن الأزمات والابتلاءات لم تأت إلا اختباراً للعباد، تأتي ليطهر الله تعالى عباده، وعندما يشتد الضيق ضيقاً، ويزيد الهم هماً، فلا يلبث إلا ويلاحقها الفرَج، لقوله تعالى ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ❖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾.

وهناك عدة خطوات لخروج الإنسان من حالته الحزينة المهمومة :

١- أن نلجأ لله تعالى ساعة الكرب ولا نلجأ للعباد، نلجأ للسميع، البصير، القادر على خلاصنا من أحزاننا، العليم بحوائجنا، الرحمن الرحيم ﴿فَلَوْلا إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُوا﴾.

٢- حسن الظن بالله تعالى والثقة بأن الذي يُذهب ما نحن فيه هو -سبحانه-؛ لقوله في الحديث القدسي «أنا عند ظن عبدي بي»، وعدم اليأس، والأمل فيما عند الله، والصبر والصمود أمام التحديات وانتظار البشرى التي وعد الله تعالى بها عباده الصابرين عندما قال في كتابه الكريم: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

٣- الدعاء المتواصل، يقول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الأَرْضِ أَإِلهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ﴾، ويقول سبحانه أيضا: ﴿وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ﴾ خاصة الدعاء بالأعمال الصالحة، ونحن نعرف قصة الثلاثة الذين حبستهم صخرة عظيمة سدّت باب الغار عليهم فلا يستطيعون الخروج منه، فظلوا محبوسين لا أحد يسمع لندائهم وصراخهم حتى دعا كل واحد منهم بعمل صالح كان قد فعله مخلصا لله تعالى، فبدأت الصخرة تنفرج جزءا بدعاء الأول، ثم جزءاً آخر بدعاء الثاني، ثم انفرجت كلها بدعاء الثالث، وكانت بركة الدعاء بالأعمال الصالحة الخالصة لله تعالى نجاة للثلاثة.

ومن ذلك -أيضا- ترديد بعض أدعية الكرب، ومنها ﴿لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ذلك الدعاء الذي دعا به يونس -عليه السلام- وهو في بطن الحوت في الظلمات، فما لبث أن خلصه الله تعالى من هذه المحنة القاسية، وغيره كثير من تلك الأدعية، مع انتقاء وقت الإجابة كالثلث الأخير من الليل، ووقت السجود؛ فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد .

٤- ملازمة الاستغفار لقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً﴾.

وحديث: «مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» رواه أبو داود وابن ماجة، عن ابن عباس رضي الله عنه، وفيه ضعف.

٥- ذِكرُ الله كثيراً؛ لقوله تعالى: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، فذكر الله تعالى يغير القلوب من حال لحال، فالذكر يملأها بالطمأنينة والسكون والراحة بدلاً من التوتر والقلق والخوف، ومنها قراءة القرآن.

٦- مناصرة المحتاج ومعاونته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» رواه مسلم.

فعند الشدة والضيق يجد العبد الله -عز وجل- عونا له في شدته؛ لأنه لم يترك ذلك المحتاج ولم يدّخر نفسه وقت حاجه الناس له.

٧- التوكل على الله وليس التواكل؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، فالذي يتوكل علي الله فهو يكفيه ويغنيه عن سؤال الناس، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّهَا تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا».

٨- بر الوالدين والإحسان إليهما، وطلب الدعاء منهما، ففي البر منجاة من مصائب الدنيا بل هو سبب تفريج الكروب وذهاب الهم والحزن كما ورد في شأن نجاة أصحاب الغار وكان أحدهم باراً بوالديه يقدمهما على زوجته وأولاده.

٩- رد المظالم، ورعاية الأمانات، وأداء الحقوق، وفي حديث الغار توسل أحد الثلاثة برده الأمانة لأجيره بعد رعايتها له، ولاشك أن رد الأمانات والحقوق ورعايتها دفع للحجاب بينك وبين استجابة الدعاء وكشف البلاء، وفيه تنقية للنفس مما يتعلق بها من رغبات الدنيا والتكالب على متاعها خصوصا عندما لا تكون من حقه، وقد حرص سلفنا الصالح على ذلك بصورة شبه دورية، فيتدبرون الحقوق التي عليهم ويرعون الأمانة التي في أعناقهم ويردون المظالم التي علقت بهم.

١٠- تجنب الظلم ودعوة المظلوم، فكم من ظلم اقترفناه ونحن غافلون عن عقوبته، وكم من ضعيف أهملنا أمره في ذلك، فمن أراد تفريج كربه فليرعَ حاله، وليجتنب الظلم، فلا يظلم أخ أخاه في ميراث أو أي شيء يكتسبه دون رضاه، ولا يظلم صاحبٌ صاحبَه ولا شريكٌ شريكَه، فمن الدعوات المجابة دعوة المظلوم «اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ».

وقد حذر ديننا العظيم من الظلم أشد التحذير، وبين آثاره السيئة، وعواقبه الوخيمة ونتائجه المدمرة، على صاحبه.

وعن عبد الله بن عمر -رضي الله تعالى عنهما- عن النبي ﷺ قال: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ، حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ» ■

بأقلامهنّ

﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾

فاطمة رمضان

سبحان من خلقنا فأحسن خلقنا، وصورنا فأبدع صُوَرنا بين خلقه... سبحان من امتنّ علينا بنعمه ظاهرةً وباطنة، نتنعّم بها ونتمرغ في فضله وإحسانه. وإن مما امتنّ به الله تعالى علينا نعمة خصّنا بها بين مخلوقاته، وذكرها تعالى في آياته: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ (البلد: ٨، ٩).

قال الإمام القرطبي في تفسيره: ولساناً ينطق به، وشفتين يستر بهما ثغره.

والمعنى: نحن فعلنا ذلك، ونحن نقدر على أن نبعثه ونحصي عليه ما عمله.

فما نحن فاعلون بما وهبنا الله وكيف لنا أن نشكرها من نعمة؟!

يا رب... ما أجرأ العبد الذي أعطيتّه فعصاك في عطاياك، ووهبته فنسي أداء حق هباتك، ولنتأمّل الحديث: «كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ...» رواه البخاري.

وهل هناك صدقة عن اللسان أَوْلى من حفظه عن اللغو والمحرمات؟! وما أكثر شيوعها على ألسنة معظم الناس إلا من رحم ربي!

خرّج الترمذي والنسائي عن بلال بن الحارث مرفوعاً: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»، نعم إن الأمر بهذه الدقة؛ فبكلمة يخرج المرء عن إيمانه، وبكلمة يدخل في دين الله الحنيف، وبكلمة تنهار أسر وتؤسَّس أُخرى، وبكلمة نبني شخصية طفل أو نهدمها، وبكلمة تطيح رؤوس وتسلم أخرى...

كم في المقابر من قتيل لسانه
كانت تَهابُ لقاءَه الشجعانُ

ولنقل أيضاً: كم من عبد حجز له لسانُه مكاناً في جهنم؟! وفي الحديث أن النبي ﷺ قال لمعاذ ابن جبل رضي الله عنه عن اللسان: «كف عليك هذا». فقال معاذ رضي الله عنه: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم -أو على مناخرهم- إلا حصائدُ ألسنتهم؟» رواه أحمد والترمذي وابن ماجة.

وكم من امرئ يأتي يوم القيامة مفلساً!!

روى الإمام مسلم قوله ﷺ لأصحابه: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»؛ لقد تساوى من يسفك الدم ويأكل المال ويضرب بمن يؤذي بالشتم والقذف؛ فكل خصلة من تلك الخصال تأكل من الحسنات يوم القيامة!

وفي الحياة الدنيا قد يكون الأذى باللسان أقوى من الأذى بالفعل، وبهذا يقول الشاعر:

جراحات السِّنانِ لها التئامُ
ولا يلتام ما جَرَحَ اللسانُ

وإن المخالفات التي يقع بها اللسان متنوعة: شتم وغيبة ونميمة وقذف وكذب... انتشر وجودها وأصبحت فاكهة المجالس، وما هي في الحقيقة إلا آفات تأكل الحسنات، وتهلك العمل الصالح كما تأكل الآفات الزرع وتُضيِّع جهد الزارع. وهي أيضاً توغر صدور الأفراد ضد بعضهم وتكون سبباً للتفكك والتفرق... وذلك مناف للأجواء التي أمر الله بأن تسود المجتمع الإسلامي، المجتمع الذي ضرب للعالم مثلاً في التوادد والتراحم والإيثار والحرص على الآخرة، ففتح الدنيا بقِيَمِه ورُقيّه..

وإذا ما مررنا سريعاً على بعض هذه الآفات لوجدنا من أكثرها شيوعاً ما يلي:

• الكفر وسب الربّ والعياذ بالله: فقد شاعت عند البعض حتى لا يجد حرجاً بها، مسوِّغاً ذلك بالغضب والخروج عن الطَّوْر!! ولم يعلم أنه لو اتقى الله حقاً وتحقق خوف الله تعالى ومحبته في قلبه لما تفوه بذلك أبداً.

• الغِيْبة: وهي المعول الهادم لتآلف الجسد الواحد، وهي الموغرة لصدور أفرادها، ولذلك ورد فيها الوعيد والتشنيع: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾؟!!

• الكذب: وحَسْبُ الكاذب أنه لا يزال يكذب حتى يُكتب عند الله كذّاباً، روى الإمام أحمد في مسنده: «لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا، وَلَا يَزَالُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا».

• القذف: وما أكثر ما تهاون الناس به، وما أشد قُبْحه وشؤمَه على المجتمع الإسلامي، وما أخوفه من عقاب توعده الله للقاذف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (النور: ١٩)، ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٤).

• السب والشتم: ولم يعد يسلم من ذلك إلا من رحم ربي، مع أن نبيَّنا ﷺ يقول: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَلا يَشْتُمُهُ» متفق عليه. والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ (الحجرات: ١١).

• اللعن: ويا لفداحة ما يدعو به المرء حين يلعن؛ إنه الطرد من رحمة الله، إنه الشقاء الأبدي. وفي سنن أبي داود أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ، فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا»، وكم من لسان استساغها وانتهجها والعياذ بالله.

وبعد... فهل يستحق أي شيء من ذلك أن يقدّم الإنسان حسناته قرباناً له؟! فيأكلها كما تأكل الهشيمَ النار؟! وهل هي إلا شهوة كلمة حصادها شقاءٌ قد يكون أبدياً!! ألسنا في ذلك اليوم الذي تبيض فيه وجوه وتسودّ وجوه أحوج ما نكون إلى حسنة وقول صالح؟؟ اللهم وفقنا لأحسن القول، واهدنا سواء السبيل وتجاوز عن زلّاتنا وفلتات ألسنتنا... آمين، آمين ■

تربية الأطفال في ظل الكوارث والازمات (١)

رفيقة دخان - أخصائية نفسية

يتأثر الأطفال بالأحداث والظروف التي تقع حولهم بل قد يقودهم عقلهم الصغير للاعتقاد بأنهم هم سبب ما يحصل وهذا عائد لما يسمعونه ويشاهدونه من الكبار حولهم. غير أن طريقة تعبيرهم عن ذلك تختلف عن الكبار؛ ما جعل كثيرين يعتقدون أن الاطفال لا يتأثرون بما يحصل حولهم من أزمات وكوارث، الأمر الذي قاد —ويقود- الى عدم تلقيهم دعما ورعاية مناسبين.

وأرى أنه من الأهمية بمكان الإشارة للظروف والآثار النفسية الصعبة على الأطفال؛ بهدف الانتباه إليها والتعامل معها مبكرا قبل أن تتفاقم وتزداد سوءاً.

وتشتد الحاجة في بلادنا وفي ظل الظروف القاسية والأحداث المهددة التي تمر بها إلى توعية الأسرة والمربين لكيفية بث الطمأنينة في نفوس هؤلاء الأطفال، وتسعى هذه المقالات الى تقديم المعلومات والطرق التي تساعد في التدخل في هذه الظروف الصعبة. ليستفيد منها أكبر قدر ممكن من الأهل والمهتمين والمربين ليمتلكوا عددا من الوسائل التي تؤهلهم وترشدهم للتعامل الصحيح مع الأطفال خلال الظروف الصعبة وحالات الطوارئ.

ينضج الأطفال وينمون انفعاليا من خلال التفاعلات الاجتماعية الناجحة مع الآخرين؛ وتبين أن فاعلية وتأثير أي علاقة ناجحة مع الطفل تتطلب تواصلاً يتسم بالثقة والتقبل والاحترام من الراشدين نحو الاطفال.

فإذا اردنا مساعدة الطفل في اجتياز تجربة توتر حادة، فعلينا التعامل مع آرائهم وأفكارهم على أنها مصادر تعلم وقوة، حيث إن أكثر ما يوتر الأطفال ويشغلهم هو المجهول، أي عدم وجود تصورات وتوقعات واضحة لما سيأتي بالمستقبل القريب والبعيد، كما أن تسارع الأحداث وشدتها يزيد من خوفهم وتوترهم وقلقهم.

الأطفال لم تتكون لديهم المفاهيم بعد -كالحرية والعدالة/ والابتلاء من الله / الجهاد في سبيل الله- كما أنهم عاجزون عن الوصول لقيم سامية في حياتهم، وهذا هو الذي يفرق الأطفال عن الكبار الذين تهون عليهم مصائبهم أو يستطيعون حملها والتأقلم معها في سبيل تحقيق هذه المعاني.

لكن الله -عز وجل- ميّز الأطفال بالقدرة على التعافي بأقل الآثار النفسية. وذلك من خلال توفير بيئة مناسبة لهم تتسم بالعلاقات الدافئة التي تتميز بالقبول والتقدير والاحترام لهم. كذلك منحهم الثقة بقدراتهم ومنحهم الحرية للتعبير والانفعال في نطاق مريح يكون الكبار قدوات لهم في هذه البيئة يتقبلونهم ويقدمون لهم المعلومات بطرق مبسطة تساعدهم في فهم ما يجري.



التربية عن طريق التلويح ... والتلميح ... والإيحاء من خلال سورة التحريم

أ. د مصطفى مسلم

إن النفوس البشرية جُبلت على الاعتزاز بالمألوف المعتاد التي نشأت عليه ويصعب عليها التغيير وترك المألوفات، وكثيرًا ما تتولد القناعات الداخلية لدى المرء بخطأ الموقف وصحة الجديد وصوابه، ولكن الاستجابة لهذا الجديد يشق على النفس، وخاصة إذا اعتادت ملذات معينة وأسلوبًا خاصًا في التعامل وأنسًا معينًا بأصحاب وقرناء.

والحكمة تقتضي اتباع الأسلوب المناسب لكل حالة، فكثير من الناس موقعهم في ذؤابة القوم ورئاستهم لا تنفع معهم المجابهة الصريحة. وآخرون ينفع معهم الوعد وتحقيق المصالح وغيرهم يجدي معهم الوعيد والشدة.

ولكن الأسلوب الذي يعم الجميع ويتجاوب مع كل الفئات أسلوب التلميح والإيحاء، ولذلك كان أغلب أسلوب رسول الله ﷺ في دعوته التعميم والتلميح، فكان يقول «... فما بال العامل نستعمله فيأتينا ...»[(١)].

وقد أخذه رسول الله ﷺ من الأسلوب القرآني في عدم تسمية الأقوام والأشخاص بأسمائهم مراعاة للجبلّة الإنسانية في أخذها العزة في الدفاع عن نفسها.

ومن هذه الأساليب الإيحائية ذكر قصص السابقين الذين تمثلت في سيرهم قيم معينة، وحملوا مبادئ ومُثلاً تجسدت في سلوكهم، وبالتالي يدعى السامع لأخذ العبرة من ذلك.

وفي قصص القرآن الكريم نماذج لكل الشرائح البشرية، فقصة نوح وإبراهيم وإسماعيل ويعقوب ويوسف وموسى وزكريا ويحيى وعيسى ولقمان وذي القرنين نماذج تقتدى بها في الصبر وتحمل الأذى والحكمة في الدعوة والرفق بالمدعوين والصدق في القول والعمل والتضحية وتحين الفرص لتبليغ الدعوة في الوقت المناسب للمدعوين، والجرأة في الحق والتبتل إلى الله تعالى والزهد في متاع الحياة الدنيا وشهواتها.

أما قصص: نمرود وفرعون وهامان وصاحب الجنتين، فتمثل الطغيان الإنساني الذي تنحرف به الفطرة ليصل الطغيان إلى ادعاء الألوهية عندما تدفعه بطانته إلى التعالي وتزين له الاستبداد، ولا يجد في القوم من يجهر في وجهه بكلمة الحق وتذكيره بخالقه الذي هو أشد منه ومن بطانته قوة. وكذلك النماذج البشرية التي تضفي صفة الخلود على المتع والملذات الدنيوية التي لا يريد زوالها عنه ولا يريد أن يسمع من يذكره بالآخرة التي سيكون فيها الزوال لمتعه الدنيوية وحسابه على كل ما قدمته يداه، لأن كل ذلك منغص عليه شهواته وملذاته الدنيوية. إن هذه النماذج تتكرر في الحياة البشرية في كل وقت وفي كل حين وفي كل مكان.

ولأثر أسلوب الإيحاء والتلميح في النفس الإنسانية وتربيتها سيقت هذه النماذج في حياة المرأة لتؤخذ العظات والعبر والدروس.

عود على بدء:

تقدم في مبحث المناسبات في سورة التحريم أن افتتاحية سورة التحريم تتناول أمرين يتعلقان برسول ﷺ وبزوجتيه عائشة وحفصة -رضي الله عنهما- واختتمت السورة بالإشارة إلى الأمرين.

فجاءت الإشارة الأولى بالتعريض بأمي المؤمنين وأن قربهما من رسول الله لن ينفعهما إن بقيَتا على تظاهرهما عليه وحبهما ما يكره رسول الله ﷺ كما لم ينفع قرب امرأة نوح وامرأة لوط من زوجيهما لأنهما خالفتا عقيدة الزوجين ورسالتهما.

وفي ذلك تخويف وتحذير يتفطر له قلب المؤمن من هذا الإيماء والرمز، وكانت قلوب أمهات المؤمنين من القلوب الرقيقة التي تحس بمثل هذه التلميحات والإشارات.

وجاءت الإشارة الثانية إلى امرأتين كانتا المثال الحسن والقدوة الرائعة للنساء في الترفع عن زينة الدنيا وشهواتها.

مات زوج إحداهما كافرًا -وهو فرعون- فأبدلها به خيرًا وهو سيد البشر وخاتم النبيين ﷺ كما ذكرنا حديث الطبراني في ذلك.

والثانية مريم ابنة عمران -عليها السلام- حيث لم يكن لها زوج فوعد رسول الله ﷺ بالزواج بها يوم القيامة[(٢)].

وفي ذلك تكريم لهما وعوض لرسول الله ﷺ على ما كان من شأنه في هضم حق نفسه ابتغاء مرضاة أزواجه اللاتي تظاهرن عليه.

وبذلك يكون آخر السورة قد رجع إلى أولها، مع انتظام كل مقاطعها في محورها لتشكل سبيكة ذهبية من التوجيهات الربانية في تربية الأسرة المسلمة.

---

(١) أخرج البخاري الحديث مطولاً ... انظر الصحيح كتاب الأيمان والنذور (٧/ ٢١٩).

(٢) جاء في الأثر أن الزوجين إذا ماتا مؤمنين وكانا من أهل الجنة فكل منهما أولى بصاحبه إذا كانا متراضين، أما إذا مات أحدهما كافراً فلا اقتران بينهما وإذا لم يتراضيا فكذلك.

أخبار هيئة الشام الإسلامية في سطور

اللجنة الطبية

بلغت مصروفات الدعم الطبي الذي قدمته الهيئة خلال شهري تموز وآب الماضيين أكثر من ٢,٣٠٠,٠٠٠ دولار. ومن ذلك:

- تزويد الغوطة الشرقية بأدوية اسعافية عاجلة للعلاج والوقاية من آثار الأسلحة الكيميائية.
- دعم إنشاء مراكز طبية للتجهيز الوقائي والإسعافي من الهجمات الكيماوية في عدة مناطق من سوريا.
- افتتاح مشفى (هجين) في ريف دير الزور، وقد استقبل في أول شهر ونصف أكثر من (١٥٠٠) حالة مرضية.
- استمرار العمل في عيادات حي السكري في مدينة حلب، الذي يخدم حوالي ٥٠٠ ألف نسمة، ويقدم العلاج والدواء مجاناً.
- تدشين العمل بمشفى التقوى في دير الزور، و بلغ عدد المراجعين خلال شهر ونصف أكثر من (٢٤٧٠) حالة.
- استقبل مركز طب وجراحة العيون في ريف حلب الشمالي (٦٢٠) حالة.
- تزويد الساحل السوري بسيارتي إخلاء جرحى مع التكفل بتشغيلها لمدة ثلاثة أشهر. وتوزيع (١٠٠٠) حقيبة إسعافية وكميات من الأدوية لمجاهدي الساحل، وتوفير براد حفظ الدم لصالح مشفى سلمى الجراحي.
- الدعم الكامل لتشغيل مشفى الإحسان الجراحي التخصصي في ريف دمشق، والذي استقبل يوم مجزرة كيماوي الغوطة أكثر من (٢٠٠٠) إصابة، نجا منها بفضل الله (١٨٢٤) حالة.

القسم النسائي

- إقامة برنامج ترفيهي خامس أيام عيد الفطر المبارك في عمان لبعض أسر اللاجئين.
- إقامة أربعة دروس خلال شهر (تموز) ٢٠١٣م، ضمن الحملة النسائية لنصرة المرأة السورية اللاجئة في لبنان، والتي تنفذها الهيئة النسائية لدار الحديث في مدينة طرابلس بدعم من هيئة الشام الإسلامية.
- إقامة درسين للنساء في مسجد الإحسان في طرابلس، في شهر آب (أغسطس).
- زيارة ميدانية لمخيمات اللاجئين في تركيا وسوريا خلال شهر رمضان المبارك، وإقامة العديد من الدروس والبرامج الدعوية للأخوات.

مكتب الفتية

- إقامة ملتقى الفتية الأول. تربوي دعوي اجتماعي. في مخيمات اللاجئين في الداخل السوري، على مدى عشرة أيام بدءاً من ٢١ رمضان المبارك ١٤٣٤هـ وحتى ثاني أيام عيد الفطر بمشاركة ١٠٠ طالب.



المكتب الدعوي

- إقامة الملتقى الشبابي الصيفي الأول في مخيم كيليس للاجئين السوريين بتركيا، من ١١ إلى ٢٦ شعبان ١٤٣٤هـ.
- إقامة الملتقى الشبابي الصيفي الثاني في أطمة. سوريا، من ١٠ إلى ٢٣ شوال ١٤٣٤هـ.
- تنظيم مسابقة تحريرية في كتاب (العشر الأخير - أحكام تهم المسلمين) في حلب خلال شهر رمضان، وتكريم (١٥٣) فائزاً وفائزة.
- طباعة الحقائب والكتيبات الدعوية وتوزيع أكثر من مليون نسخة من المطبوعات الدعوية.
- إيفاد عدد من الدعاة إلى العديد من المناطق السورية المحررة، طيلة أيام شهر رمضان.

المكتب الإغاثي

- بلغت مصروفات الأعمال الإغاثية خلال شهري تموز وآب أكثر من سبعة ملايين دولار. ومن ذلك:
- توزيع أكثر من (٤٠,٠٠٠) سلة غذائية خلال شهر رمضان.
- تنفيذ مشروع إفطار صائم بتكلفة إجمالي تجاوزت (١,٣٣٥,٠٠٠) دولار، شملت أغلب محافظات سوريا.
- توزيع كسوة العيد لأبناء الشهداء بمبلغ يصل إلى (١٠٠,٠٠٠) دولار.
- توزيع حوالي (٥٠٠) طن من التمور خلال شهر رمضان المبارك.
- صرف مبلغ تجاوز (٤٦٢,٠٠٠) دولاراً ضمن مشروع سنابل العطاء لتأمين الطحين والخبز في عدد من المناطق المحررة والمحتلة.
- صرف أكثر من (٧٣٣,٠٠٠) دولاراً ضمن مشروع المؤاخاة خلال الشهرين الماضيين، تم توزيعها على شكل إعانات مالية للأسر الفقيرة وحصص غذائية.
- صرف مبلغ (٨٠,٠٠٠) دولاراً ضمن مشروع إعمار لتأهيل البيوت المتأثرة بالقصف وترميمها للأهالي والنازحين.
- صرف أكثر من (٣٦٠٠٠) دولاراً ضمن مشروع اخلفه في أهله ومشروع كهاتين لكفالة الأيتام وأسر الشهداء خلال شهر واحد.
- صرف أكثر من (٥٠,٠٠٠) دولار خلال شهر تموز لمشروع براعم الشام لتوفير الحليب ومستلزمات الأطفال الرضع.
- صرف (٥٠,٠٠٠) دولار خلال الشهرين الماضيين لمشروع سقيا الماء.

المكتب النفسي والاجتماعي

- تنفيذ زيارة إلى لبنان، استغرقت شهراً كاملاً لتقديم مجموعة برامج نفسية للاجئين السورين هناك، واستطلاع أوضاع اللاجئين.
- تقديم (٢٥) دورة دعم نفسي وتأهيل للداعمين النفسيين في تركيا والأردن ولبنان وسوريا.
- عقد (١٥) لقاء ومحاضرة مع الداعمين النفسيين والناشطين في سوريا ودول اللجوء.
- بلغ عدد الجلسات الإرشادية في مركز الاستشارات النفسية بالأردن خلال الأشهر الثمانية الماضية (٣٨٣) جلسة إرشادية تتنوع بين الدعم النفسي والعلاج النفسي، استفاد منها (٢٣٨) مستفيداً، كما بلغ عدد البرامج التدريبية خلال الفترة نفسها (٤٠) لقاءً جماعياً استفاد منها (١١٩٩) شخصاً.